الكشاف العربي

●

أقف اليوم * أمام الكشاف المسلم ، وغداً ان شاء الله امام الكشاف العربي .وان غداً لناظره قريب .

عندما اجتمع الكشاف المسلم في المخيم الصيفي في صوفر طلب اليّ ان اقول كلمة في حفلة الافتتاح . وكان زمام الدولة آنئذ بيد احد ابناء هذا البلد الطيب . كان ذلك في السادس من تموز في العام الماضي ١٩٤٦ ، وفي التاسع عشر من الشهر نفسه وصلتني نسخة من جريدة كانت تصدر في ذلك الوقت مرة في الاسبوع ، وعند تصفحها وقع نظري على اسمي مكتوباً تحت عنوان هذا نصه : « جيفة لا تعكر بحراً » ، وجاء في المقال انني اجنبي اتدخل في شؤون لبنان . وكانت هذه التهمة ألطف ما جاء في المقال . وكان الأولى أن يكون العنوان « فكرة تهز جبلاً » لانني رفعت امام الكشاف فكرة لا ازال اعتنقها وانادي بها . ولم آت اليوم اليكم لاكلمكم عن ربط العقد والشارات بل لعقد روابط العروبة على الكشاف المسلم في بلد عرف بصفاء عروبته وشدة اخلاصه لها . فاذا لاقت هذه الفكرة استحسانكم آمل ان تعتنقوها وتجاهدوا في

* القيت في طرابلس في حفلة الكشاف المسلم .

سبيلها ، وان لم تنله فحاربوها بفكرة احسن منهـــا اذ لا تحارب الفكرة الا بفكرة .

جئت انادي ان مستقبل العرب يجب ان يكون خـــيراً من ماضيهم .

ان في العـــالم اليوم خمسين مليوناً من العرب تجمعهم روابط اللغة والتاريخ . ماضيهم مجيد ، مفعم بالمآثر والمآتي ، اما حاضرهم فينوء بالمتاعب والمآسي . وان كان للعرب ان يتمتعوا بمستقبل يليق بعددهم وتاريخهم وجب عليهم ان يتداركوا الأمر قبـــل فوات الاوان . ولا ينفعنا اليوم ان نتغنى بالماضي كما لا يمكننا ان نركن الى الحاضر . انا اعرف الماضي وافخر بصفاته المجيدة ولا اتنصل من صفحاته المخجلة . غير انني لا استعيد بالاولى ولن ارضى ان استعيد بالثانية . وانا اعرف الحاضر واخشاه لي وللعرب قاطبة . ولذلك اسعى في سبيل توجيه النشء الجديد الى ما هو افضل . وانا اعرف النشء الجديد والمس قواه الكامنة فأثق بالمستقبل . ولولا هذه الثقة وهذا الايمان لما وقفت اليوم انادي بسنة العرب المقبولة .

يجد العرب انفسهم اليوم في وسط فترة من احرج الفترات التي اجتازوها في تاريخهم الطويل . فالاخطار الخارجية تكتنفهم وتهدّد صميم كيانهم . والمشاكل الداخلية ترافقهم وتثقل كاهلهم . سيروا معي في طول البلاد وعرضها ، ولنركب بساط الريح الى عاصمة الرشيد ، فنرى العرب هناك في حيرة امام الاخطار الخارجيـة ، وفي ارتباك امام المشاكل الداخلية . والحكومات تتعاقب وتحاول كل منهـا (باخلاص في اكثر الاحيان) ان تجابه تلك الاخطار ،

وان تحل تلك المشاكل دون ان تصل الى نتيجة حاسمة تتلاءم مع مستقبل الشعب . ولا تختلف الحالة كثيراً في دمشق وبيروت عنها في بغداد . وفي وادي النيل نرى الأزمة تلو الأزمة ، والحكومة تلو الحكومة ، دون ان يرتفع شبح الاخطار الخارجية او تتبدد غيوم المشاكل الداخلية . ولا حاجة بنا ان نحط في عبر الاردن او في القريتين او في بلاد اليمن السعيدة ، ولا ان نحلق فوقها ، لأن ألسنة الحيرة والارتباك تتصاعد الى السماء وترى من بعد كما كانت مصابيح غمدان ترى من رأس عجيب . وما آبار النفط الا لتزيد السنتها التهابا .

يقف العرب امام الاخطار الخارجية التي تكتنفهم وامام المشاكل الداخلية التي تنخر عظام كيانهم ، حيارى مرتبكين لا يدرون الى اية منها يعيرون التفاتهم ، ايعالجون هذه اولا ويتركون تلك وشأنها الى ان تحل الاولى ؟ ام يعالجون الثانية على ان يتصدوا الى الاولى بعد ان تستقر امورهم الداخلية ؟ ولا نرى اجماعاً بين اولئك الذين يريدون الاستقرار السياسي اولاً ، ولا بين اولئك الذين يريدون الاصلاح الداخلي قبل كل شيء . ولو وجد ذلك الاجماع لاستطاع كل فريق ان يجد ضالته ويتفرغ للاخرى . ففي الحقل السياسي مثلاً انبثقت فكرة الجامعة العربية وتجسدت في ميثاقها المعروف . وفكرة الجامعة فكرة محمودة ضرورية لحاضر العرب السياسي وخطوة في طريق الاتحاد فالوحدة . والمصلحة تقتضي التعاون بين الدول العربية لا سيما والاخطار التي تحيط بالواحدة تكتنف الاخرى . ولكن قبل ان ينشف الحبر على سجل ميثاقها ينبري عبد من عبيد الله يعمل على تمزيقه وتمزيقها ، وآخر

يسعى الى مسخ وسيلة العمل والاتحاد هذه الى قيد يكبل به العرب ويمنعهم من التطور السياسي ، وآخر يريـــد بقاءهـــا دوماً على حالتها الحاضرة، مثله في ذلك مثل الصيني الذي يحشر قدمي ابنته في قالب حديدي حتى لا تنمو وتكبر . ولم تلد الجامعة لتكون يوماً عقبة في سبيل اتحاد العرب وجمع شملهم .

وهنالك فكرة اخرى اتصدى لها لا على سبيل التحبيذ ولا على سبيل الشجب بل لأبين اتجاها خطراً في تفكيرنا السياسي ناشئاً عن حيرة وارتباك ، تلك الفكرة هي فكرة سورية الكبرى . ولهذه الفكرة حسنات وسيئات بالنسبة الى مصلحة العرب العامة . غير ان المعارضة لها لا تزال مقتصرة على الطعن بالملك عبدالله والتهجم عليه . ولا تجارب هذه الفكرة او غيرها الا بفكرة احسن .

والحيرة والارتباك اللذان نراهما في موقف العرب من الاخطار الخارجية نراهما في موقفهم من المشاكل الداخلية. اذ نرى في كل قطر من الاقطار العربية حكومة تلو الاخرى — كل منها تبطل ما بدأت به سابقتهـــا من اصلاح وتباشر ثانيـة في درس المشاكل ووضع البرامج لاصلاحها فلا تنتهي من ذلك حتى تعقبها حكومـة اخرى فتهمل البرامج وتعين اللجان لدرس الحالة من جـديد . وهكذا دواليك ، بينما المشاكل تتزايد، والحكومات تتعاقب، والبرامـج المهملة تتراكم والشعب يقف حائراً يحـــك رأسه بدلا من ان يحك جلده .

كذلك يقف العرب في جميع اقطارهم حيارى مرتبكين تجـاه اهدافهم القومية والاجتماعية . فهنالك العزلة الاقليميـــة ،وهنالك

الجامعة العربية على حالتها الحاضرة ، وهنالك الكتلة الشرقية ، وهنالك التقرب من الدب نكاية بالاسد ، وهنالك الجمهوريون والملكيون والشيوعيون ، وهنالك كل شيء ما عدا الوحدة . وكل فريق يدعو الى ما هو داع اليه لانه يرى في ذلك استمراراً لمصلحته الشخصية أو العائلية أو الطائفية أو الاقليمية . اما مصلحة الخمسين مليونا من العرب فلا تزال مهملة . فاين الاصلاح الداخلي ، وتحسين الحالة الاقتصادية ووضع سياسة اقتصادية ، للبلاد غير مرتجلة ، وتقويم الاخلاق الاجتماعية ، ومكافحة الجهل ، ومحو الامية ، ورفع مستوى المرأة الى مستوى الرجل ، وتعزيز الحياة العائلية ، والقضاء على استعمال الطائفية اداة للسياسة والحكم ، وقيام الحركة العربية على اكتاف الشعب المثقف ؟

امن العجب اذاً ان نرى العرب مقصرين عن شعوب أقل منهم عدداً وعدة ؟ اليس العرب اكثر عـدداً من الفرنسيين وأغنى منهم ثروة وموارد طبيعية ؟ اوليس هم اكثر عدداً من الانكليز واغنى منهم ثروة وموارد طبيعية ؟ غير ان هؤلاء متحدون متضامنون على الخير والشر ، ونحن منقسمون على ذواتنا مختلفون عـلى الخير والشر . وثروة هؤلاء ومواردهم الطبيعيـة مستثمرة ، وثرواتنا وموارد نا الطبيعية مدفونة في بطن الارض وفي بطن الاجنبي . ولأن نتفق على خطأ خير من ان نختلف على صواب ، ولأن تجتمع كلمتنا على اذى أفضل من ان نتفرق على احسان .

من الاقوال العربية المأثورة « القوة بالاتحاد والمجد بالعلم » . ومن البلايا المضحكة ان هذا القول مكتوب بخط جميل عشرات المرات

على اسوار مدينة القدس . ولو عمل عرب بيت المقدس وفلسطين منذ ربع قرن بموجب ما كتبوه على ابواب مدينتهم المسوّرة لما وصلت البلاد المقدسة الى ما وصلت اليه اليوم . ولو عمل به العرب اليوم لانقذنا مهد المسيح وصخرة المعراج من ايدي النازية الصهيونية والاستعمار البريطاني .

آفة العرب اليوم عدم الاتحاد والجهل وتذبذب في الاخلاق الفردية والاجتماعية . وما لم نقض على هذا الثالوث البغيض بقي العرب قوماً ذوي ماض مجيد فقط . وما نفع الماضي المجيد اذا بقي الحاضر حاضر تعاسة وشقاء ، يسير حثيثاً الى الموت والفناء ؟

وانا اليوم على معرفتي لحاضر العرب وخشيتي منه ، اجاهر ان مستقبلهم لا محالة خير من ماضيهم . أؤمن بالعرب لاني أؤمن بالنشء الجديد والمس قواه الكامنة . والنشء العربي الجديد كالركاز الذي صنعت منه الذرة المتفجرة ، فيه من القوى الكامنة ما سيضمن لنا المستقبل وسيقلب اوضاعنا الروحية والنفسية رأساً على عقب . ولن نتوصل الى تلك القوى الكامنة ونستخدمها لمنفعة البلاد العربية الا بعد ان نتغلب على ذلك الثالوث البغيض ونحل محله ثالوث الاتحاد والعلم ومتانة الاخلاق . وانا اعلق على الكشاف العربي كل اماني العرب والعروبة . فشعاركم خدمة الله والوطن وفي ذلك انتم على جغرافية الارض الطيبة — ارض العرب — متفقون ، وعلى جغرافية السماء لا تختلفون . وصفوفكم تضم الغني والفقير والرفيع والوضيع . ونظامكم يعلمكم الترتيب والتعاون ويدفعكم في جادة الاتحاد فالوحدة . ومتى استحال الكشاف المسلم الى كشاف

عربي واصبحت هذه الفتوة تضم النشء العربي الجديد على اختلاف الملل والنحل والاقطار العربية والديار ،ينتمي اليها العرب الذين يدينون بدين عيسى والعرب الذين يدينون بدين محمد والعرب من العراق وسورية ولبنان ومصر وشرق الاردن والحجاز ونجد واليمن وباقي الاقطار العربية ،تستحيل هذه الحركة المباركة إلى نواة حية تنمو منها الوحدة العربية . والكشاف في مخيمه وبرياضته ونظامه وتعاونه لمن اكبر العوامل الموحدة بين جميع طبقات العرب في جميع انحاء بلادهم . والكشاف بترتيبه وتدريبه على المهن والحرف وبسعيه وراء العلم وبسفراته ورحلاته في انحاء بلاده من اكبر العوامل الفعالة ضد الجهل . والكشاف بسيرته الطيبة وامانته واخلاصه لمبادىء الحركة الكشفية من اكبر العوامل الفعالة في تقويم الاخلاق الفردية والاجتماعية . والكشاف العربي هو داود البلاد العربية الذي سيرمي جالوتها وكل جالوت يحاول تهديدها وتعييرها بمقلاع التعاون واعتماد الاخلاق وحصاة العلم فيرديه . وهو الذي سيقضي على ثالوث عدم الاتحاد والجهل وتذبذب الاخلاق ويقيم محله اقانيم الاتحاد والعلم والاخلاق المتينة .

فأنا ادعو الكشاف المسلم إلى اعلان نفسه كشافاً عربياً على ان يدعو جميع المؤسسات الكشفية في كل قطر عربي إلى أن تحذو حذوه . فيصبح للعرب مؤسسة كشفية واحدة ، ويوحد اللباس كما توحد الشعائر والمناهج والقيادة والاهداف .

ايها الكشاف العربي . انك لن تفوز ما لم تتغلب على الحيرة والارتباك اللذين لا يزالان يحولان بين العرب ومساهمتهم في

التاريخ ثانيـة مساهمـة حرة وخلق جزء من حضارة العـالم . ولن تتغلب عليها الا عنـد ترميها بذرة من النفس العربية اذ كاها العلم وصوبها الاتحاد واطلقتها متانة الاخلاق. عندئذ تستحيل الحيرة الى طمأنينة ، والارتباك الى ثقة ،والفشل الى نصر،ويسير الكشاف العربي الى موعـده مع المستقبل مرفوع الرأس ثابت القدم قوي الساعد رابط الجأش راسخ الايمان ، له الرأي وله الارادة ولديه الاقدام والعزيمـة ، يتصف بالشرف والصدق والجرأة ، اذا اعترضه دجال لا يحجم عن رد تدجيله ، وهو فوق كل شبهة أو ريبـة — في السر والعلانية — هو عربي في سنة العرب المقبولة .

الشهيـــد

●

لا يسعني اليوم الا ان أعود الى عشرين سنة مضت الى عـام الف وتسعمائة وستةوعشرين . كنت آنئذ في عداد الطلبـــة الفلسطينيين في الجامعة الاميركية في بيروت ، وكان الفلسطينيون ولا يزالون اشد التلاميذ اهتماماً بالسياسة . وقبيل السادس من ايار من تلك السنة تشكلت لجنـــة من الطلبة لاحياء ذكرى الشهداء . وكنت من افراد تلك اللجنة . ولسبب لاأزال أجهله طلب الي ان أتكلم عن الطلبة الفلسطينيين . وبعد التردد المعتاد في مثل هـذه المواقف قبلت .

جاء اليوم السادس من ايار وخرج التلاميذ الى الرمل . وهناك على الضريح المشترك وقف الطالب الاول للكلام وكان سورياً . وبينما كان « يرتجل » كلمة كان قد أعدها تقدم الي طالب فلسطيني معروف بحسن العبارة وحب المواقف الخطابية وقال : يا نبيـه ، اريد ان أتكلم . فاجبت ان برنامج الاحتفال لا يسمح لاكثر من متكلم واحد عن كل قطر عربي ، ولذلك انا مستعد ان أتخلى عن دوري . وهكذا كان .

انتهى الاحتفال وعاد الطلبـــة الى بيوتهم وعاد جواسيس

الانتداب الى ادارة الامن العام .وفي صباح اليوم التالي صدر امر بابعاد المتكلمين السوري والفلسطيني بحجة انهما غريبان تدخلا في شؤون البلاد الداخلية .

كان هذا في ايام الانتداب، أما اليوم فيقف هذا الفقير بينكم، لبناني الاصل، فلسطيني المولد، اميركي التبعة ، عربي القلب، ويتكلم في يوم الشهداء ، ولا يخشى الطرد والابعاد في صباح اليوم التالي . فالحمد لله على نعمه التي اسبغها علينا بعد جهاد عقدين من السنين . والحمد لله الذي اعطانا حكومة وطنية هي على علاتها ، خير من أفضل حكومة انتدابية . والحمد لله الذي اوصلنا الى يوم لم تعد الوطنية فيه جريمة . ولولا دماء الشهداء لما كانت لنا هذه النعمة .

وها نحن اليوم نحيي ذكرى اولئك الشهداء . غير ان الاجدر بنا ان نحيي تلك الروح التي دفعت بهم الى ركوب الاعواد في سبيل العروبة ، لان حاجة البلاد العربية اليوم الى روح لا تحجم عن الاستشهاد لا تقل عن حاجة العرب اليها يوم علق الشهداء على اراجيح الشرف . وان الاخطار التي تحيط بالعالم العربي اليوم ، لا تقل عن الاخطار التي اكتنفته يوم كانت اقطاره تنوء تحت نير الأجلاف من العثمانيين . فالدواوين العرفية آنئذ حكمت على الافراد بالموت العاجل بتهمة الخيانة . واللجان الدولية * اليوم تحكم على الشعب اجمعه بالموت الآجل بجريمة الوطنية . وكما فشلت الدواوين العرفية آنئذ في استئصال الروح الوطنية ستفشل اللجان الدولية اليوم في استئصالها مهما استعملت تلك اللجان من المخدرات . وستسير الاقطار

* اشارة الى اللجنة البريطانية الاميركية في فلسطين .

العربية في طريقها نحو هدفها الاوحد، ذلك الهدف الذي بذل الشهداء في سبيله الحياة ، والذي لا نزال نحن الاحياء نكافح في سبيله – وحدة العرب في جميع الاقطار العربية .

ولا يسعني كلما تأملت فيما ينتاب الاقطار العربية اليوم من محن وما انتابها منها في الامس إلا ان اصل الى نتيجة واحدة : ان النصر حليفنا مهما اكفهرت غيوم اليوم . فقد تعرض الهلال الخصيب منذ بدء تاريخه الى هجمات من الشرق والغرب، وكانت سهوله وبواديه ميادين للقتال بين الفاتحين ، وثرواته الطبيعية مطمعاً لشهوات المستعمرين ، ومركزه الجغرافي سبباً للتنافس بينهم ومجلبة للويلات عليه ، غير ان اولئك جميعاً بادوا وانقرضوا وبقي الهلال يحتضن بين قرنيه ابناء البلاد الاصليين . وقد تعرضت الاقطار العربية منذ بدء تاريخها الى هجمات من الشرق والغرب ، فاكتسحها الفرس تارة والبيزنطيون اخرى ، وطغى عليها السلاجقة طوراً ، والصليبيون طوراً آخر ، وابتلاها الله بالمغول يوماً ، وبالغول من الغرب يوماً آخر ، وبالمماليك برهة وبالعثمانيين برهة اخرى ، غير ان هؤلاء جميعاً بادوا وانقرضوا وبقيت البلاد تضم بنيها وتحمي ذمارها بهم . وما النزاع الذي نشاهده اليوم في هذه البقعة المقدسة الا موجة اخرى لا بد ان ترتطم بالشرق فتتكسر كما تتكسر امواج المتوسط على شواطيء لبنان وتعود الى اليم خائبة .

هذه هي العقيدة التي مشى عليها الشهداء الى ساحة الموت . وهذه هي الروح التي استولت على من تبعهم في مهرجان الشهادة . آمن هؤلاء بالعروبة ، ووثقوا بها ، وكرسوا حياتهم لها ، ووقفوا

جهودهم عليها ، واضاعوا انفسهم فيها ، ورأوا بعين الرجاء مستقبلها ، فارتفعوا وطمأنينة النصر تكلل رؤوسهم ، وخلفوا لنا مثلا اعلى في الجهاد والتضحية .

وللجهاد والتضحية ، على ما ذكره الغزالي ، آداب اهمها صدق النية . ومتى توفرت هذه الصفة لدى المجاهد او الشهيد تغتفر هفواته كلها . واذ ندرس حياة اولئك الشهداء الذين قضوا في مثل هـذا اليوم قبل ثلاثين سنة ، نرى ان صدق النية كان متوفراً لديهم الى اقصى حد . ولذلك تغتفر لهم اليوم هفوة صـدرت عن صدق نية وحسن طوية : ففي جهادهم ضد استبداد العثمانيين خيل لهم ان الاجنبي سيمد لهم يد المساعدة ، فخابروه وتعاملوا معه بغية منهم في خدمة القضية التي وقفوا حياتهم عليها . فغدر بهم الاجنبي وكان من اسباب هلاكهم . ولو قيض الله لنـــا نحن الاحياء في عالم الشهادة ان نتصل باولئك الشهداء الخالدين في عالم الغيب ونكلمهم ونصغي اليهم لسمعناهم يقولون : حـــذار يا ابناء العروبة ! اجنبي لا يخلصنا من اجنبي . فان نالكم من واحد شيء لاتركنوا الى غيره ، بل اعتصموا بالله واتكلوا على قوة اتحادكم . ولا تحسبن براثن الدب اقـــل خشونة وفتكا من براثن الاسد . فـدونكم والتعرض للبلاء والتحلل بالفناء .

« ان السلامة من سعدى وجارتها ان لاتحل على حال بواديهـا »

وكأني بالشهداء الخالدين يتململون محتجين على احتفالات تقام اليوم احياء لذكراهم على اساس الطائفيـة والاقاليم على الرغم من انهم استشهدوا في سبيل العروبة لا في سبيل بلد او اقليم او طائفة .

فلم يميز الجلاد بين العراقي والسوري واللبناني والفلسطيني والمصري والجزائري ، ولم يخصص لعنق المسلم حبلة ولعنق النصراني حبلة اخرى ، ولم يجر في فتكه على اساس طائفي ، بل فتك بالشهداء لعروبتهم .

والحمد لله على ان جرائدنا المحلية لا تصل الى على فلا تقع عيون الشهداء على برنامج الاحتفال الرسمي ، ولا ينزعجون من تعدد الخطباء وتعدد ما يقولون . وهل غاب عن البال ان آخر ما فاهت به شفاه الشهداء عندما امتطوا اراجيح المجد كان العروبة ؟!

والعروبة اليوم تحتاج الى من ينادي بها عقيدة حية فعالة ، وهي في حاجة الى رجال ونساء من ابنائها مكرّسين ، على استعداد ان يستشهدوا في سبيلها . وهي في حاجة اعظم الى رجال ونساء من ابنائها مكرّسين على استعداد ان يعيشوا في سبيلها . فالشهادة المثلى تتجلى في الجهاد المستمر والحياة المثمرة . وكثيراً ما تكون شهادة العيش والعمل اصعب مسلكاً واعظم تضحية من شهادة الموت والفشل . والعروبة اليوم تجابه فترة من التاريخ قد تقرر مصيرها الى اجيال . وهي تدعو جميع ابنائها وبناتها الى شهادة الجهاد والتضحية في مختلف ميادين العمل ، وهي لا تكتفي ولن تكتفي بالاحتفالات ، والاحتجاجات ، والبيانات ، والخطب ، والقصائد ، بل تنتظر عملا ايجابيا منظما مستمراً . ولاولئك الذين يقنعون بالاقوال دون الافعال ، ويظنون انهم يبلغون بها رتبة الشهادة والكمال اقول :

« لو كلت الفي رطل خمر لم تكن لنصير نشواناً اذا لم تشرب »

برز السادس من ايار عـــلى العالم العربي قبل ثلاثين سنة بمحنة كادت تكون القاضية. غير ان يوم البؤس ذلك ما برح ان استحال الى يوم سعد ونصر بوحي شهدائه وهمة من جاء بعدهم وعمل . وقد برز الاول من ايار في هذه السنة* على العالم العربي بمحنة يتعاظم ظلها على مهد المسيح وصخرة المعراج . وسنبرهن للملأ ثانية اننا كفؤ لرفع البلية التي حلت بالبلاد في اول ايار كما رفعنا البلية التي حلت بها في السادس منه . وبوحي من استشهد ومن سيستشهد ، وهمة من جاهد ومن سيجاهد، سيستحيل يوم البؤس هذا الى يوم سعد ونصر. وسنستمر في جهادنا سنين ان لزم ذلك ووحيدين ان اقتضى الامر ، الى ان تأتي سنة الرب المقبولة ، فيرفع شبح الاستبداد والاستعباد والاستعمار عن الارض ويتلاشى ، وتطبـــع السيوف مناجل ، والرماح سككا ، ويعود العربي آمناً الى هـلاله الخصيب ، فيحرثه ويزرعه ويحصد غلاته ، من خليج فارس الى وادي النيل .

(*) سنة ١٩٤٦